محاضرة الثنائية اللغوية

أولا: الثنائية اللغوية Bilingualism

يعتمد هذا المصطلح على ترجمة المصطلح الإنجليزي Bilingualism وقد اختلف مفهوم اللغويين حول هذه الظاهرة اللغوية من حيث الماهية وكنهها، كما أشرنا سابقا حول إشكال مصطلح الازدواجية والتداخل الحادث بينهما.

و **يعود سبب اختلافهم** في تحديد ماهية هذا المصطلح إلى اختلاف **نظرتهم للمعايير التي تبنى عليها الثنائية**، وبسببها تعدّدت حدودها ،كاستعمال هذه الظاهرة من طرف الفرد أو الجماعة، أو النظر إلى طبيعة المكان، أو اعتبار الإتقان والتوظيف، أو الاقتصار على التفاعل والتعايش وطريقة تحصيلها، وقد أشار الدكتور ميشال زكريا إلى هذه المعايير قائلا:" نجد بالعودة إلى المعاجم الألسنية التعاريف التالية لظاهرة الثنائية اللغوية:

- الثنائية اللغوية هي الوضع اللغوي لشخص ما أو لجماعة بشرية معينة تتقن لغتين، وذلك من دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلامية مميزة في لغة أكثر ما هي في اللغة الأخرى.
- الحالة اللغوية التي يستخدم فيها المتكلمون بالتناوب وحسب البيئة والظر وف اللغوية، لغتين مختلفتين.
- نقول إنّ الفرد ثنائي اللغة حين يمتلك عدة لغات تكون كلها مكتسبة كلغات أم.
- كون الفرد قادرا على تكلم لغتين، تعايش لغتين في مجتمع واحد شرط أن تكون أكثرية المتكلمين ثنائية اللغة فعلا.

- استعمال شخص أو مجموعة أشخاص لغتين أو أكثر (لغة ثقافة، ولهجة) في شكلها المحكي بخاصة (والمكتوب ثانيا.)

- الحالة اللغوية التي تعنى بها المجتمعات اللغوية والأفراد الذين يسكنون مناطق أو بلدانا تستعمل فيها لغتان على نحو متقن.

- استعمال لغتين على نحو ماثل لاستعمال أبناء كل لغة من اللغتين.

- القدرة في اللغة الأخرى على إنتاج كلام حسن التركيب وذي دلالة.

- التناوب في استعمال لغتين أو أكثر.

- عملية تلاؤم الأفراد مع وجود أشخاص في مجتمعهم يتكلمون لغة أخرى".

يظهر لنا من هذه الحدود أنّ تلك المعايير كانت سببا في تداخل المصطلحات بينها والظواهر اللغوية الأخرى، كما كانت سببا تفرعاتها وتعدّ د أنواعها ،حتى شكّلوا منها مصطلحات كثيرة فاقت التصور العلمي في المجال الاصطلاحي، كما كان لاختلاف تصوراتهم وإطنابهم حول تحديد معايرها كالكفاءة، ومراحل اكتسابها، وظروفها، وطريقة تحصيلها، وعلاقتها بالفكر، يدا في الانجراف الاصطلاحي ،وسأذكر شيئا منها حتى نقف على حجم إشكال هذه الرزية للمصطلحات العفوية والارتجالية التي أتعبت وأرهقت كاهل الباحث والقارئ:

- natural bilingualism الثنائية الطبيعية، primary bilingualism الثنائية الأولية

- artificial bilingualism الثنائية الاصطناعية، secondary bilingualism الثنائية الثانوية، individual bilingualismالثنائية الفردية، societal bilingualism الثنائية المجتمعية، horizontal bilingualismالثنائية الأفقية، vertical bilingualism الثنائية الرأسية، diagonal bilingualism الثنائية القطرية، ideal bilingualism الثنائية اللغوية المثالية ، الثنائية اللغوية المتوازية balanced

bilingualism ، home bilingualism ثنائية منزلية، education bilingualism ثنائية تعليمية ، school bilingualismثنائية مدرسية information bilingualism ثنائية إعلامية ، official bilingualismثنائية رسمية ، complementary bilingualism الثنائية التكاملية،

- fonctional bilingualism ثنائية وظيفية ، non-reciprocal bilingualism ثنائية غير تبادلية
- reciprocal bilingualismالثنائية تبادلية stable bilingualism – ثنائية مستقرة
- bilingualism instable ثنائية غير مستقرة، progressive bilingualism الثنائية المتزايدة
- regressive bilingualism الثنائية المتناقصة–

أنواع الثنائية اللغوية: بناء على ما سبق يمكننا تقسيم الثنائية إلى أربعة أقسام تجوزا على النحو الآتي:

1. **الثنائية اللغوية الفردية bilingualism individual** : نقصد بها قدرة الفرد، أو جماعة وتمكّنهما نسبيا من استعمال نظامين لغويين مختلفين، أي لكلّ نظام قواعده، وأصوله، ومبادئه. وقد عرفها بلومفيلد Bloomfield بأنّه إجادة الفرد التّامة للغتين، وعرفها مكنمارا Macnmara بأنها امتلاك الفرد للحد الأدنى من مهارة لغوية واحدة في لغة ثانية، أما ألبرت Albert وأوبلر Obler فقد ذهبا إلى أنّه الأستخدام المثالي للغتين أو أكثر . وذهب نهاد الموسى إلى أنّ الثنائية اللغوية هي المقابل العربي للمصطلح الفرنسي bilingualism ونقصد بها الشيئين المتقابلين، حيث تطلق على متقابلات الأضداد كالخير والشر، النور والظلام، الفقر والغنى، وذلك أشبه بالتقابل البعيد عن اللغات المتباينة. الملاحظ من هذه الحدود لهذا النوع من الثنائية أنهم يتفقون على أنّ الفرد أو الجماعة لا ينتميان لهذه الظاهرة حتى يكون عارفا للغتين اثنتين مختلفتين، إلاّ أنّهم اختلفوا في درجة المعرفة وإتقانها، فمنهم من تساهل كالباحث محمد علي الخولي حيث ع رّفها أكثر شمولية ومرونة قائلا: "الثنائية اللغوية هي استعمال الفرد أو الجماعة للغتين بأية درجة من الإتقان، ولأية مهارة من مهارات اللغة، ولأي هدف من الأهداف"، فهو لا يعتبر الإتقان والتمكن شرطا لتحقيقها كما

اشترط سابقوه، على نحو ما ذهب إليه ميجل MIGL ومكاي MACKYحيث يؤكّ دان بأنّ ثنائي اللغة هو"الشخص الذي يتقن لغة ثانية بدرجة متكافئة مع لغته الأصلية، ويستطيع أن يستعمل كلا من اللغتين بالتأثير والمستوى نفسه في كل الظروف"[1].

2. **الثنائية اللغوية الاجتماعية social bilingualism** : يقصد بها استعمال لغتين كوسيلة اتصال في مجتمع ما بغض النظر عن كثافته، وقد جاء تعريفها في المعجم المفصل في علوم اللغة بأنها: "حالة وجود لغتين مختلفتين عند شعب ما، كتكلم يهود أمريكا العبرية والانجليزية" ولا ترتبط الثنائية اللغوية الاجتماعية بالثنائية الفردية مطلقا، إذ يعتبر مجرد الاستعمال لنظامين لغويين مختلفين في المؤسسات، أو في الهياكل التابعة للدولة، أو بعضها علامة كافية لوجود هذه الظاهرة، وهذا ما أشار إليه هيجل ومكّاي حيث يقرّران أنّ الثنائية الاجتماعية هي: "استعمال لغتين كوسيلة اتصال في المجتمع أو المجموعة أو مؤسسة ما"[1].

3. **الثنائية الإيجابية** : هي الثنائية اللغوية التي تهدف منذ البداية إلى "غرض النهوض بمستوى اللغة الوطنية، لكن بالقدر الذي يفيد هذه اللغة ولا يضرها، وبغرض استعمالها للاستفاضة من العلوم والتكنولوجيا والتعايش مع الثقافات لا غير، وتشترط فيها أن تبقى وتظل اللغة الوطنية وطنية

[1] – هيجل ومكاي، التعليم وثنائية اللغة، مرجع سابق، ص22.

في الدستور وفي الواقع، واللغة الأجنبية أجنبية في اللسان والميدان، حيث يحدّ د لها نطاق ضيق لا تتجاوزه بحيث تستفيد من خلاله اللغة الوطنية ولا تعيقها فتقضي عليها".

4. **الثنائية السلبية :** هي الثنائية التي تتجاوز حدها لتنقلب إلى ضدها، فتسيء أكثر ما تبني "ومن نتائجها خلق فئات، وطبقات اجتماعية متعارضة المصالح، والاهتمامات، والاتجاهات الفكرية، والثقافية ،والإيديولوجية، وتخلق بالتالي اتجاهات اجتماعية معارضة للازدواجية من أساسها، ليس كرها في اللغة الأجنبية، وإنّما حبا في اللغة الوطنية، وليس رفضا للتفتح وإنّما رفضا للذوبان، وليس رفضا لحب البقاء، وإنما رفضا لخطر الفناء"[1]، لذلك تُرفض الثنائية أو تقبل لاعتبارات المستعمل وقصده.

عوامل وجود ظاهرة الثنائية اللغوية

_عامل الاستدمار: فرض اللغة المستعمرة كلغة رسمية أو شبه رسمية

_ عامل الغعلام: الهيمنة الإعلامية والاقتصادية

آثار الثنائية اللغوية على الفرد والمجتمع

على المســـتوى التعليمي: هناك من يرى أن القدرة اللغوية مبدّدة عند ثنائي اللغة بين اللغتين، ما يفضي إلى تدني الكفاية اللغوية في كل لغة منها عن المستوى الذي يمكن أن تكون عليه لدى أحادي اللغة.

على المستوى السلوكي: تسبب اضطرابات ومشاكل نفسية عند متعلمها كما يرى "شارل بوتون"" أنّ بعض الاضطرابات المرضية النفسية تعبّر بطريقة أو بأخرى عن الثنائية اللغوية"، وبالتالي ستحدّ من القدرات العقلية، وتعيق من العمليات الإبداعية كما قيل: "إذا انتشرت في وسط شعب ما، فإنّها تدمّر ذكاءه وإبداعيته لأجيال طويلة". وعلى عكس ذلك نجد آخرون يعتقدون "أنها ظاهرة عالمية تدل على الارتقاء الحضاري باعتبارها وسيلة لتبادل الآراء والأفكار ومسايرة التطور العلمي، والثنائية يمكن أن

تقود إلى لغة مهجنة من اللغتين المتحدث بهما لكن لا تصل في سلبيتها إلى أن تصبح مشكلة كالازدواجية، بما فيها من تنوع لهجي له أثاره السلبية التي تشمل الفكر والشخصية والأخلاق".

على المستوى الجماعي: إما ترسيخ للهوية أو ضرب من الاستعمار في شكله الجديد؛. وقد قال أحد الباحثين المغاربة في هذا الصدد: "الخطر في الثنائية المفبركة في التعليم، مع لغة أجنبية ينظر إليها المتعلم على أنها لغة التقدّم، والرقي الثقافي والعلمي، فتكون النتائج سلبية على هوية التعلم، وطاقاته التعبيرية، والإدراكية والنفسية، والخطر كذلك في محيط ثنائي اللغة مع امتيازات اجتماعية وتشغيلية واضحة للثنائيين، فتصبح اللغة الأجنبية مرجع الثقافة والرقي العلمي والتقني، والمقياس لكلّ ما هو من مرتبة عالية".

خاتمة: خلاصة القول أن الثّنائية من القضايا اللغوية المهمّة في الساحة العربية ،حيث اهتمّ لها جمع من علماء اللسان، واللغويين، والمثقفين، والسياسيين، وذلك للآثار الحتمية التي تتركها في هُويةُ الأمة العربية، لذا يجب التّعامل معها بكل حذر وحيطة ،وعلى الأمّة أن تميّز بين الاستخدام الذي ينال من الهُوية من الاستعمال الذي لا ينال منها ،سيما في زمن المغلوب المولَع بالغالب، وإلاّ انفلتت الأمور، واستعصى الدّا ءُ، وصَعب امتثالُ الشّفاء.

ثانيا: الازدواجية Diglossia

الازدواجية diglossia عموما تطلق عن حالة يتم فيها استخدام لهجتين أو لغتين من قبل مجتمع لغوي واحد، فبالإضافة على التنوع للغة اليومية أو العامية للمجتمع يتم استخدام مستوى أعلى في سياقات اجتماعية مثل الإنتاج الأدبي والعبادة والتعليم الرسمي ولكنّها غير مستخدمة في المحادثة اليومية، ومدار هذا المعنى مستوحى من الحالة اللغوية اليونانية التي برز فيها صورة التنافس بين شكل شعبي للسان هو الديموط يّ وآخر نقيّ ومتكلف هو الكاتاريفوا.

يقال إنّ هذا اللفظ شاع بعد أن استعمله اللساني" مييه" Millet سنة 1917م, بل هناك من يعتقد أنّ أغلب الدراسات تؤكد أنّ أوّل من وضع مصطلح الازدواجية اللغوية هو الألماني"كارل كرمباخر"c.krubacher سنة 1902 في كتابه المشهور مشكلة اللغة اليونانية الحديثة المكتوبة، الذي اقترح فيه على اليونانيين ترك ازدواجيتهم الشرقية واللحاق بالعالم الغربي بتبني العامية لغة قومية،كما دعا العرب إلى ترك فصيح لسانهم، وتبني إحدى اللهجات مفضلا المصرية لغة قومية، ومنذ ذلك الحين بدأ في التبلور حتى تشكّلت حدوده العامّة على يد العالم الفرنسي وليم مارسيه (W.Mercais) عام 1930م، ويشير نهاد الموسى إلى هذا قائلا: "ولعلّ وليم مارسيه المستشرق الفرنسي هو أوّل من شرع هذا المصطلح الازدواجية" .

وقد عرّف وليام هذا المصطلح Diglossia في مقالة له قائلا:" هي التّنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث"، هذا التّعريف نعتبره حدا جامعا مانعا، ومحقّقا للحالة اللغوية الأكثر تداولا بالمغرب العربي ، ومظهر وجوده شكلان لغويان:أحدهما مكتوب، وآخر مقول محك ي متفرع عنه، بينهما اختلافات كبيرة في جميع المستويات الصّرفية والنّحوية والصّوتية والدّلالية، حيث صارت الفصحى في وقتنا الحالي قسيم للهجات العامية، وبينهما تنافس موجّه.

وفي عام 1959م نقل عالم اللسانيات المجتمعية تشارلز فيرغسون Charles Ferguson مصطلح Diglossia إلى الانجليزية دلالة على استخدام شكلين متنوعين ومختلفين للسان نفسه ،شريطة أن يكون بكل استخدام لهذين الشكلين الحيز المناسب لوجود وضع مختلف لكل منهما، إذ يستخدم أحدهما في الحياة اليومية العامة، ويستخدم الآخر للأمور الرسمية كالتعليم فيقول: "الازدواجية وضع لغوي قار نسبيا، يوجد فيه إلى جانب اللهجات الأولى للغة (التي قد تتضمن ‹لغة›معيارية أو معياريات إقليمية(تنوع فوقي جد مختلف وبالغ التعقيد)و غالبا ما يكون أكثر تعقيدا من الناحية النحوية)، حامل لنصوص كثيرة ومحترمة من الأدب المكتوب ، إمّا من فترة سابقة أو من مجموعة لغوية

أخرى، يتعلمه الناس عموما في التعليم الرسمي ويستعمل لأغراض مكتوبة أو أحاديث ضاربة في الرسميةولكنه لا يستعمل أمثلة في أي قطاع في المجموعة للحديث العادي".

ولتجسيد ذلك المفهوم ضرب" فيرغسون " عدة أمثلة ليوضح مقصده من الازدواجية اللغوية فذكر أربع لغات موصوفة بالخصائص المميّزة في نظره لتلك الظاهرة الاجتماعية وهي: اللغة العربية، واللغة اليونانية بين الإغريقية العامية(demotiki) والإغريقية الصافية (katharessouva) ، واللغة الألمانية المستخدمة في سويسرا أي بين الألمانية والسويسرية الجرمانية، واللغة الهجين المتحدثة في هايتي أي بين اللغة الفرنسية واللغة المحلية لهايتي، وتوصل فيرغسون أن الأشكال اللغوية عموما في المجتمعات الأربعة جسدت مستويين:

- المستوى الأول يكون غالبا على شكل لهجة فصحى تسمى بالشكل اللغوي الأعلى، أي الصنف (high variety). الرفيع
- المستوى المقابل يأخذ شكل اللهجة المحكية، أي الصنف الوضيع(low variety) .

خصائص الازدواجية اللغوية عند أصحابها

- **خصائص الازدواجية عند فيرغسون:** حاول الباحثون استنباط الخصائص المميزة للازدواجية اللغوية عند فيرغيسون، واختلفوا في تعدادها، فمنهم من جعلها سبعة وتتلخص فيما يأتي:

1- تخصيص كل صنف بوظائف ميزة فيستعمل الصنف الرفيع في الطقوس الدينية،الآداب،الخطابات السياسية، الجامعات...إلخ، بينما يخصص الصنف الوضيع للأحاديث الحميمة، وإنتاج الأدب الشعبي.

2- أن يكون للصنف الرفيع مكانة مميزة أمام الصنف الوضيع، وإن كان الصنف الوضيع أكثر استعمالا.

3- أن يكون الصنف الرفيع أنتج رصيدا أدبيا معتبرا، معترفا به.

4- أن يختلف في طريقة الاكتساب، حيث يكتسب الصنف الوضيع بطريقة طبيعية) لغة الأم(،بينما الصنف الرفيع يعلّم في المدرسة.

5- أن يكون الصنف الرفيع مميزا ومقننا ومضبوطا، بينما لا يكون الصنف الوضيع كذلك.

6- أن ينتمي الصنفان اللغويان لنفس اللغة مع اختلاف في الأنظمة البنيوية على جميع المستويات: المستوى الفونولوجي، المستوى النحوي، المستوى الدلالي.

7- أن تثبت الازدواجية اللغوية لعدة قرون.

وهناك من الباحثين من اقتصر على ست سمات رئيسية لهذه الظاهرة وهي على الشكل الآتي:

أ– السمة الأولى تتمثل في التوزيع الوظيفي: فالتنوع الرفيع يستخدم في المسجد والآداب والخطب الرسمية والجامعة والمدرسة إلخ، في حين يستخدم التنوع الوضيع في الأحاديث العادية اليومية والأدب الشعبي إلخ. -

ب– السمة الثانية: تكمن في أن التنوع الرفيع يحظى بصيت اجتماعي على عكس التنوع الوضيع الذي هو موضع استهجان.

ت– السمة الثالثة: قوامها أن التنوع الرفيع يُسخَر لإنتاج أدب معترف به ومحط إعجاب.

ث– السمة الرابعة: تعتمد على ظاهرة الاكتساب، التّنوع الوضيع يكتسب بشكل طبيعي إذ هو اللغة الأولى التي يكتسبها الناطقون، في حين أن التنوع الرفيع لا يكتسب إلا في المدرسة.

ج– السمة الخامسة: يرى فيرغسون بأنّ هذه الحالة اللّغوية تمتاز بالاستقرار.

ح – يتصف التنوع الرفيع بكونه مقعّدا "خاضع لقواعد ونظام كتابة على خلاف التنوع الوضيع".

ونجد الباحث العربي المشرقي صالح الفلاي يستنبط تسعة خصائص من تعريف فيرغسون (Ferguson) لهذه الظاهرة، وتطرق لها بشيء من الشرح والتفصيل وهي على التوالي: الوظيفة ،المنزلة، التراث الأدبي، الاكتساب، المعيارية ، الثبات، القواعد النحوية، المفردات، التراكيب الصوتية.

إنّ اختلاف المميزات والسّمات لهذه الظاهرة يعود سببها إلى ترجمة كلّ باحث للنص الأصلي، ولا يخفى علينا اختلاف الأسلوب والعبارات والفهم من مترجم لآخر، وبالتالي حتما سيكون الاختلاف في عدد المميزات، والسّمات، وعليه لا نجزم جزما بأنّ هذه المميزات جميعها أرادها عالم اللّسانيات المجتمعية تشارلز فيرغسون Ferguson هذا من جهة.

ومن جهة أخرى لو فرضنا بأنّ هذه المميزات والخصائص قصدها وا ضعُها، التي لا تتجاوز على الأكثر تسع ميزات ، فيستحيل توفُّرها في الواقع العربي ولاسيما الجزائر.

- **التخصص الوظيفي**

يعتبر من أهم خصائص هذه الظاهرة ،ويقصد به فيرغسون هو تقسيم هذا التخصص الوظيفي إلى وضعين لا ثالث لهما: وضع غير رسمي يتمثل في استخدام اللهجة العامية الشعبية المتداولة على لسان البيت والشارع، بينما الوضع الثاني يتمثل في استعمال اللسان المقعّد المعيار الذي تستعمله الجهات الرسمية، كالتدريس والإدارات والمؤسسات الحكومية والمناسبات الدينية.

- **التراث الأدبي والاحترام**

نجد فيرغسون يؤكّد أنّ الصنف الرفيع من اللغة يتسم بتراث أدبي كبير لذلك فهو يحظى من طرف جميع أفراد المجتمع بمنزلة يعلوها الاهتمام والاحترام، على عكس اللّهجة السّفلى التي هي في موضع أقلّ منزلة منها، ولكنّ الواقع في مجتمعاتنا العربية بطبقاته جماعات وأفراد، إلا نزرا قليلا يرون أنّ التّراث الأدبي للعامية هو الآخر لا يقلّ شأنا عن سابقه، إذ يمثل أدبا حقيقيا، والمتمثل في الأدب الشّعبي وملحقاته من حكايات وألغاز وحكم وأمثال، وزادت قوة هذه النظرة حينما فُرض تقنينها و تدريسها بالجامعات، وأصبحت من التخصصات التي يولّى لها اهتماما من طرف ال دّكاترة والباحثين ،والذي يظهر لنا أن هذه الخاصية غير ثابتة فهي تتغير بتغير الأجيال وصدق انتمائهم لهُ ويتهم ولغتهم- الصنف العالي-

ومن جهة أخرى نلمس تأكيدات وإجراءات عملية وحسّية من طرف بعض الجهات التي تكّرس هذا المفهوم تبجيلا للصنف الوضيع واستهجانا للغة، ولا غرو من ذلك إذ نجد أحد الباحثين يرفض أن نسمي الدارجة)الصنف الوضيع(بالعامية فيقول: "وإننا نفضل استعمال كلمة)الدارجة(على)العامية(لما تتضمنه الكلمة الأخيرة من دلالة طبقية وصفات تحقيرية، استهجانية لا تليق بالبحث العلمي المجرد"، ونتيجة لتعظيم الصنف الوضيع ظهرت طبقة عرفت بدعاة العامية توالي وتعادي من أجلها.

- **خاصية الثبات والاستقرار (stability)**

من الخصائص التي أكد عليها فيرغسون أن الازدواجية تمثّل وضعا لغويا قارا نسبيا تختص بأنها تستمر لعدة قرون على الأقل، وهناك ما يدل على أنها في بعض الحالات تدوم أكثر من ألف سنة، وقد شكك كثير من الباحثين في تحقيق هذه الخاصية، نظرا لكون التغيرات الاجتماعية ،والتحديث، والتحضر، وسقوط الحواجز الطبقية،... إلخ، تجعل هذه الخاصية صعبة الثبوت وعلى سبيل المثال يقرر ماكي Mackey (1989) أنّ الأوضاع الازدواجية ليست قارة بل لها حركيتها ،ونجد الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري يميل إلى هذا الرأي قائلا: "ويبقى أن نشكك كذلك في سمة استقرار الازدواجية، كما يبين عدد من التجارب التي أوردناها"، فهذه الخاصية كسابقتها لا تخلو من اضطراب الثبوت.

- **خاصية المفردات (Lescicon)**

المقصود من هذه الخاصية أن معظم الكلمات من الشكلين اللغويين مشتركة، بمعنى غالبية كلمات الشكل الأدنى من اللغة موجود بالشكل اللغوي الأعلى، وهذه الخاصية لا يلتفت إليها لعدة أسباب ومن أهمها:

السبب الأول: إنّ فيرغسون بنى دراسته على استقراء ناقص، إذ اقتصر في دراسة الازدواجية بالنسبة للمجتمع العربي على اللهجة المصرية)لهجة القاهرة(فقد ضيق باب الدراسة، ومن المعلوم أن اللهجة لهجات، وهاته اللهجات تختلف باختلاف ثمان وعشرين دولة عربية(28)، وهنا يتبادر إلينا سؤالا ما الدرجة المعيارية المطلوبة لتعيين اللهجة النموذجية لدراسة هذه الظاهرة، واللهجة وعاء للمفردات.

السبب الثاني: من المتعارف عليه في الساحة اللسانية عند دراسة ظاهرة لغوية عادة ما تعتمد على فترة زمنية محددة، ووصف تلك الظاهرة من طرف فيرغسون كان في الخمسينيات، وعلى سبيل

المثال: في فترة الخمسينات كان المعجم اللغوي الأدنى لدى الشعب الجزائري قريبا من المعجم اللغوي الأعلى نسبيا، ولاسيما في بعض الجهات التي لم تتأثر بلغة المستعمر، أما في بداية الثلث الأوّل من القرن الواحد والعشرين نجد تحولا لغويا كبيرا بالنسبة للشكل اللغوي الأدنى إذ صار تطفو عليه سمة الأعجمية على غالب ألفاظه.

وهذا التحوّل اللغوي للأسوأ أشار إليه صالح بلعيد حيث يقول عن الوضع المزري قائلا: " وما الجزائر إلا صورة مصغرة من هذا الوضع السّيئ، فقد داهمتنا الفضائيات بهجين لغوي كبير، ولم تسلم ألسنة الجزائريين من التعدد اللغوي في توظيف الكلمات التي تجمع بينها أحيانا نغمة الأداء فقط وهي تنتمي إلى ألسن الهويات المتعددة، ويحضرني —في هذا المقام– تدخل الرئيس عبد العزيز بوتفليقة غاضبا من لغة التواصل بين الجزائريين، وقال يومها: لم أتبين ما اللغة التي يتحدث بها الجزائريون، فلا هي عربية ولا هي فرنسية ولا هي أمازيغية...فهو خليط منبوذ، وكلام هجين لا نكاد نفهمه، ومثل لذلك بكلمة)مايكزيزتيش(وهي كلمة خاصة لا يفهمها إلا جزائري القرن الواحد والعشرين وهكذا نجد أنفسنا نتحدث بلغة هجينة غريبة الأطوار"(صالح بلعيد التهجين اللغوي" المخاطر والحلول) .بل هناك من الباحثين من يذهب إلى نتيجة أبعد ويصف الشكل اللغوي الأدنى بأ نّه بعيد عن العربية الفصحى، بل وتختلف عن العامية العربية الجزائرية. ولذلك لا يمكننا إثبات وجود غالبية كلمات الشكل الأدنى بالشكل اللغوي الأعلى في هذا العصر، وفي هذا الموطن ،إذ الازدواجية من سماتها أن يكون أحد المستويين يكون الأصل والثاني متفرع عنه، وليس الأمر كذلك، وعليه تسقط خاصية المفردات.

- **خصائص الازدواجية عند وليم مارسي**

بناء على المفاهيم والتخريجات السابقة يظهر لنا أنّ التّعريف الأنسب لهذه الظاهرة العربية هو ما ذهب إليه المستشرق الفرنسي وليم مارسي (w.Marçais) أنّ الازدواجية التي تعيشها الأمة العربية " هي التّنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث"[1]، وقد وقفنا على قول للدكتور أحمد إبراهيم السامرائي يبيّن الأسس المستنبطة من هذا الحد قائلا: "ونلحظ من هذا التعريف أنّ الازدواجية متحققة بوجود مجموعة من الأسس وهي:

أ. المنافسة بين مستويين لغويين.

ب. التفاوت بين المستويين من ناحية الفصاحة.

ت. التفاوت بين المستويين من ناحية الاستعمال".

إلاّ أنّه في نظرنا كما أشرنا في بداية حديثنا عن الازدواجية، نؤّكد أنّ هذا التعريف يشكّل حدا جامعا مانعا، لذا متى تحققت هذه المعالم الواضحة حكمنا بوجود هذه الظاهرة في أيّ مجتمع من المجتمعات، وهذه المعالم تتمثّل في توفُّر خصائص ثلاثة:

- **خاصية التنافس**

تعتبر هذه الخاصية من أهم الشّروط لتحقيق هذه الظاهرة، وهو صراع بين شكلين لغويين إحداهما رفيع (خاضع لصرامة قواعد صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية، وتداولية..)، وأخرى أدنى متمثلة في اللهجات العامية (غير خاضعة لأيّ قواعد) والدّعوة إليها والسّعي في تكريسها، وقد وصفها الأستاذ محمود محمد شاكر بقوله: "تلك القضية من أعقد القضايا التي ابتلي بها العالم العربي خاصة، والعالم الاسلامي عامة، ولا تزال حيّة إلى اليوم، بل بلغت عنفوانها في هذه السنين الأخيرة ،وليس لها شبيه في العالم كله"[1].

وأخرج لنا قيد التنافس وصف التعايش، فلا يجتمعان النقيضان ولا يرتفعان، ولابد لتحقيق هذه الخاصية من وجود مظاهر، كمظهر الاستعاضة عن تدريس اللغة العربية باللهجات العربية مثل:الشامية، والمصرية، والمغربية، والعراقية في بعض الجامعات الأمريكية .

ولذلك "متى حدث مثل هذا التصادم بين الشكلين اللغويين الرفيع والأدنى نجد أن هناك أفرادا في المجتمع يساندون الشكل اللغوي الأعلى ويطالبون بالاستغناء عن الشكل اللغوي الأدنى، ومجموعة أخرى من الأفراد تنادي بعكس هذا الاتجاه وتطالب باستخدام الشكل الأدنى، أما البقية الباقية فإنها تطالب بظهور مزيج من الشكلين"، وهذه الخاصية لأهميتها تطرق إليها كثير من باحثي العرب والعجم ، وسنتكلم عن هذه الخاصية في المبحث الموالي لأنّ العامية صارت منافسا قويا للعربية الفصيحة، بل صار لها أنصار وموالون ودعوا إلى تأصيلها، وتقعيدها، واعتمادها في المؤسسات التعليمية، وهذه الصورة لا شك أنّها تمثل– خاصية التنافس – التي نجدها منطبقة على الوضع اللغوي في بلدنا اليوم.

- **وجود شكلين للغة المكتوب والمنطوق**

هذه الخاصية تتفق مع وضعنا اللغوي كذلك، إذ يوجد شكل مكتوب فصيح يحظى باهتمام وتقدير، يقابله شكل لغوي عامي شفاهي تداولي يحظى هو الآخر باهتمام.

.أسباب ظهور الازدواجية اللغوية وتكريسها

- الابتعاد عن اللغة الأم
- السلطة الرابعة المتمثلة في الإعلام
- الاستدمار وفرض لغة المستعمر
- وضع الأسرة العربية الحديثة
- التمايز بين الازدواجية والثنائية